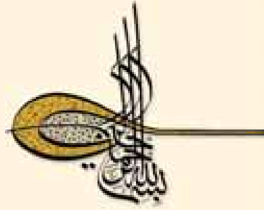
مِئَةُ أَسَاسٍ وَأَسَاسٍ فِي الخِدْمَةِ



عثمان نوري طوبَّاش

دار الأرقم



إسطنبول ١٤٣٣ / ٢٠١٢

ISBN: 978-9944-83-637-1

دار الأرقم للطباعة والنشر
İkitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi Atatürk Bulvarı
تركيا – إسطنبول Haseyad 1. Kısım No: 60/3-C Başakşehir

ت	: ٠٧٠٠-٦٧١ (٢١٢-٩٠+)
فاكس	: ٠٧١٧-٦٧١ (٢١٢-٩٠+)
البريد الإلكتروني	: info@islamicpublishing.net
الموقع الإلكتروني	: http://islamicpublishing.net

اسم الكتاب باللغة التركية	: Hizmette 101 Esas
المؤلِّف	: عثمان نوري طوبَّاش
المترجم	: محمد عز الدين سيف
مراجعة وتصحيح وتدقيق	: محمد أوقُموش
تصميم وتنضيد	: راسم شاكر أوغلو
طباعة وتغليف	: مطبعة دار الأرقم
Arabic	Language :

مِـئَةُ أَسَاسٍ وَأَسَاسٍ

فِي الخِدْمَةِ

عثمان نوري طوبَّاش





الأخلاق الإسلامية قائمة على التوجه إلى الله سبحانه وتعالى بمحبة وإخلاص، وأبرز سمات هذا التوجه -بلا ريب- هي «الخدمة».



٢

الرحمةُ أعظم ثمار الإيمان وألذُّها، وعنها تنبثق «الخدمة». والتراحم لطف من الله عظيم. وما لم يكن الإنسان رحيمًا فلن يعرف معنى القلب ولا الإدراك ولا الوجدان.



الخدمة هي البحث عن رضا الله سبحانه وتعالى وذلك بالتخلص من أنانية النفس، والتوجه إلى المخلوقات بفؤاد تملؤه الرحمة والعطف والإيثار.

الرحمة والخدمة هما درجَتان مهمَّتان في السلَّم الذي يوصل روح الإنسان إلى النضج المعنوي وكماله، وهما سعيك لإعانة المحتاج المحروم من النعم التي أكرمها الله عليك.

المؤمن الرحيم جواد متواضع من أهل الخدمة، وهو طبيب القلوب الذي يبعث الحياة في الأرواح ويُذهِب حيرتها وتيهها.



لا بد أن تكون الرأفة والرحمة أساسَين في تعامل أهل الخدمة مع المخلوقات التي تتلقى الخدمة، وذلك بالتدبر والتفكر في اسمَي الله تعالى «الرحمن» و«الرحيم»، فالخدمة محصول الرحمة التي نبتت وأينعت في القلوب.



الخدمة وظيفة اجتماعية أمرَ بها الله سبحانه عبادَه، إذ لا بد للمؤمن أن يشعر بالمسؤولية تجاه الأحداث في مجتمعه.

يقول الشيخ موسى أفندي رحمة الله عليه:

«ترى كثيرًا من الناس يحيون باطمئنان معتقدين أنهم أدوا واجباتهم الدينية حين حصروها بالصلاة والصيام. لكن هل يكفي هذا؟ لا، إذ لا بد من الرأفة بالمخلوقات إضافة إلى مراعاة أوامر الله وتعظيمها، الأمر الذي لا يمكن القيام به إلا بالتضحية والخدمة الصادقة النابعة من القلب. فالذي ينبغي لذي العقل السليم أن ينتبه إليه بعد أدائه الفرائض واجتنابه المحرمات هو أن يخدم الإسلام والمجتمع والمخلوقات أجمعين، فيكون ذا نفع وفائدة لها... فالخدمة متمِّمُة للفرائض وجزء من سنة خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم...»



خدمة الله تعالى تكون باتباع أوامره، واجتناب نواهيه، وبذل الجهد في سبيل إعلاء كلمته.

١٠

خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون بالإحساس بمشاعر المحبة النابعة من الفؤاد تجاهه، والاقتداء بسنته الطاهرة المطهرة في الحياة، ودعوة الناس إليها.





خدمة علماء الدين والعارفين تكون بإظهار الحب

والوفاء والإخلاص لهم.

خدمة الوالدين تكون بنيل رضاهم دون قول «أفٍّ» لهم.

خدمة الأولاد تكون بتربيتهم تربية
تجعلهم مؤمنين صالحين.

خدمة الأقارب تكون
بصلتهم والإحسان إليهم.

خدمة المؤمنين تكون بمشاركتهم
أفراحهم وأحزانهم.

خدمة الناس تكون بالسعي

لنفعهم قولًا وفعلًا.

خدمة المخلوقات تكون باحتضانهم
تحت جناح الرحمة والرأفة.

أهل الخدمة كالنهر الجاري يقطع المسافات الطويلة ساقيًا الإنسان والحيوان، والشجر والورد، والسنابل والبلابل، وباعثًا الحياة فيها؛ ثم يصبُّ في نهاية مطافه في بحر الوصال مع الله جل جلاله.

الأرواح الناضجة الكاملة تبحث حولها
عمَّن تنجيها، كي تصل إلى الفلاح
الأبدي بفضل الخدمة والرحمة.

لا ريب أن المرء من أهل الخدمة هو ذلك
المؤمن اللطيف ذو القلب الرقيق الذي
يحفظ إيمانه ووجوده وكيانه مهما كان
الوسط الذي يعيش فيه، ويُبعِد
من ناحية أخرى قلبه عن المال
والمُلك والمواقِع والمنافع،
ويُصغي إلى صرخات المحتاجين إلى
الخدمات وأنَّاتهم، لا سيما أولئك الذين
يكابدون الألم ولا عون لهم ولا نصير.



ترى صاحب الخدمة مواسيًا الناس في همومهم ومحنهم، وكأن قلبه اتسع ليجتمع فيه هم كل مصاب. فغدا عالمه المعنوي منبع الرحمة التي تعمُّ المخلوقات كلها. وكما أنه من المحال أن تفقد الشمس قدرتها على بث الحرارة، كذلك من المحال أن ترى امرأً ذا روح سامية لا يتعاطف مع الناس، ولا يطلب خدمتهم، ولا يتأثر أمام المحن و الشدائد والمصائب.

يقول مولانا جلال الدين الرومي:
«لقد علمني شيخي شمس التبريزي
رحمة الله عليه أمرًا إذ قال: (إن
كان في هذه الدنيا مؤمن يشعر
بالبرد، فلا يحق لك أن تتدفأ).
وأنا أعلم أنه ثمة مؤمنون يشعرون
بالبرد على وجه هذي البسيطة، فما
عدت أعرف الدفء البتة».



أهل الخدمة مكلَّفون بوظائف
ومهمات في كل مكان يمتد
إليه قلوبهم.

يجد المؤمن الذي لديه روح
الخدمة فرصةً أو وسيلةً
لتقديم الخدمة لا محالة.

كل خدمة خالصة تُقدَّم من أجل
رضا الله تعالى دون التفكير
في المنافع النفسانية هي
انعكاسات الشوق للوصال مع
الله تظهر على سلوك صاحبها.



حين لا يحرص الإنسان الذي
يقدم الخدمة على الدنيا
ويكون هدفه رضا الله
تعالى لا المنافع المادية،
فسينال رضا ربه عز وجل
ومحبة الناس الذين يتلقون
خدمته.

تُقبَل الخدمة عندما تكون في
سبيل الله، وتُقدَّم بأسلوب
يحفظ كرامة متلقِّيها دون جرح
مشاعره أو استحقاره.



لا خير في خدمة لم تصاحبها
أخلاق حسنة، وإنما قُدِّمت
بأسلوب فظ جارح. فالخدمة بلا
محبة أو رحمة لا تكون إلا سببًا
لكسر القلوب.

ينبغي للإنسان الذي يقدِّم الخدمة أن يُسارع إلى نجدة كل كائن، ويتعامل برحمة حتى مع المذنب، فيستميل قلوب الناس بقول لين، مبشِّرًا لا منفِّرًا.

أهل الخدمة يشعرون دائمًا أنهم
يمشون في حقل من الألغام،
لذلك تراهم يُراعون الأدب
واللطف في معاملاتهم.

قبول الخدمة عند الله تعالى
منوط بأدائها بأدب ولطافة،
لذلك يجب أن يتذكر أهل
الخدمة دائمًا تحذير عبد الله بن
منزل رحمة الله عليه عندما قال:
«الأدب في الخدمة أعزُّ من
الخدمة ذاتها».

الخدمة التي تُقدَّم بأسلوب فظ
لا تمنح صاحبها أجرًا، بل قد
تمسي ذنبًا. إذ إن إصلاح القلب
المكسور أشد عسرًا من إصلاح
القارورة المكسورة.

يقول يونس امْره:

إن آذى الشيخ الهرم فؤادًا

فلا يبذلنَّ في ذهابه إلى الحج جهدًا

الصبر زاد أهل الخدمة، وسندهم المولى جلَّ وعلا، والثبات هو مفتاح التوفيق في خدماتهم.

الخدمة ليست رغبة تأتي وتذهب،
بل مهمة سامية وجب على المرء
أداؤها بعشق ومحبة حتى يلفظ
أنفاسَه الأخيرة.

قد يشعر بعضٌ ممن لديهم باع طويل في الخدمة بالاستغناء مع مرور الوقت، وهذا الشعور هو بداية الخطر الذي قد يواجهه أهل الخدمة، فالإحساس بـ «الكفاية» همسة من همسات النفس تجذب المرء إلى الدنيا.

الخدمة فضيلة عظيمة تمسَّك بها أنبياء الله وأولياؤه، فضيلةٌ لم يتخلَّ عنها هؤلاء العظماء حين أصابهم المرض، ولا حتى وهم على فراش الموت.

٣٨

يجب على أهل الخدمة أن يرددوا دائمًا
وأبدًا دعاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم بألسنتهم وأفئدتهم:
«اللهم إني أعوذ بك من العجز
والكسل، والجبن والبخل والهرم...»
[البخاري، الدعوات، ٣٨]

كما أنه من الخطأ أن يهمل المرء
زوجته وأولاده ووالدَيه وعمله الذي
يسترزق منه في سبيل الخدمة، كذلك
لا يجوز أن يتخذهم ذريعة فيتوانى
عن الخدمة في سبيل الله.

ثمة سر عظيم في الخدمة الخالصة لوجه
الله الكريم، فهو سبحانه وتعالى يتكفَّل
بإزالة هموم المرء حين يخدم دينه،
ويسعى لتنفيس كُرب عباده. أما الأناني
الذي ينشغل بهمومه ومصالحه، فيتركه
الله عز وجل يشقى فيها.

يقول جعفر الصادق رحمة الله عليه:

«أوحى الله تعالى إلى الدنيا أن اخدمي من خدمني، وأتعبي من خدمك».

ويل لنا إن لم تكن رحمتنا ومحبتنا
للخدمة فوق كل محبة فانية زائفة.

من اليسير تحديد النصاب في زكاة المال،
لكن من العسير تحديد نصاب القدرات
والإمكانات التي أكرمنا بها ربنا عز وجل،
لذلك يجب علينا أن ننذر أنفسنا للخدمة في
سبيل الله بحسب طاقاتنا حتى خروج نفَسنا
الأخير، يقول ربنا ذو الجلال والإكرام:

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾

[التكاثر: ٨]

من لا يسعى للخدمة ملتمسًا أعذارًا شتى، ومرجِّحًا راحة باله، على الرغم من النعم والإمكانات التي وُهِبت له، ليس إلا كالشجرة بلا ثمار. يقول الشاعر نجيب فاضل: «ما الشجرة بلا براعم إلا حطب».

قيمة الخدمة منوطة بعِظم التضحية في سبيلها، وأدائها مثل أداء العبادة.

يجب أن نتذكر أن إكسير السعادة الأبدية
للأفئدة كامن في أمكنة المحن والمشقات
وأزمنة العسر والصعوبات.

لا ترى القلوب العارفة الخدماتِ تعبًا ونصَبًا،
بل لذَّة ووسيلة للسعادة السرمدية.

ينبغي أن يكون فؤاد المرء الذي يقدِّم الخدمة كالتراب الخصب تدوس عليه المخلوقات كلها وتترك بقاياها، لكنه سرعان ما يتطهر، فتنمو نباتات خضرة متنوعة تقتات عليها المخلوقات التي تجول فوقه.

الخدمة وسيلة نفع للآخرين، وهي من جانب آخر تضمن سمو صاحبها ورفعة شأنه بقدر سعيه وإخلاصه، فالفائدة التي تعود على صاحب الخدمة أكثر من متلقِّيها.

أهل الخدمة كالشمس والقمر في السماء، إذ يبثون الحياة حتى في الأماكن المنعزلة والأراضي القفار، وكلما أناروا من حولهم ازدادوا نورًا على نور.

ما أجمل قول الشيخ علي راميتني:

«إن أولئك الذين يقدمون الخدمات أكثرهم يمنون على الناس وقليل منهم الشكور، وشتان بين الفريقين. ومن يرى الخدمة نعمة بين يديه ويقدمها بامتنان، فسيشكره كل امرئ، ولن يجد أي شكوى منهم...»

٥٢

ما أحسن قول الشيخ سعدي رحمة الله عليه:
«اشكر الله إن عملت خيرًا، فهو سبحانه قد وفَّقك لذلك، ولم يجعلك -بلطفه وإحسانه- تضيع عمرك هباءً. إن من يخدم السلطان لا يستطيع أن يمن عليه بخدمته، بل عليه أن يشكره لأنه استعمله».

٥٣

لطف عظيم من الله تعالى على عبده إن جعله
من أهل الخدمة حقًّا. فينبغي للمؤمن أن يعلم
قدْر هذي النعمة العظيمة، ويسعى مخلصًا لربه
شاكرًا إياه، ولا ينسى أن النعمة التي يتقلَّب
في أحضانها قد تزول بين ليلة وضحاها إن لم
يعرف قدرها.

يقول الشيخ سعدي رحمة الله عليه:
«الفضيلة في الخدمة هي تقديم العون
للضعفاء شكرًا لله حين تكون قويًا متنعِّمًا
بالصحة».

يقول الشيخ موسى أفندي رحمة الله عليه:

«لنعلَم أنه لا يمكن لكل امرئ أن يحظى بتقديم الخدمة. إذ ثمة كثير من الناس لديهم استعداد لتقديم الخدمات في كل مضمار لكنهم محرومون بسبب ظروف الزمان والمكان. فعلى أهل الخدمة أن يدركوا أن الخدمة نعمة، ويزدادوا تواضعًا، ويشكروا أولئك الذين يتلقون الخدمات، فهُم الوسيلة لنيل هذي النعمة».

٥٦

مَن خدَم الناس نال العون والمدد.

كان عبيد الله أحرار قدس الله سره ينسب المقام الذي حظي به إلى بركة الخدمة، ويقول من باب الشكر على النعمة والاعتراف بها:

«إنني لم أبلغ ما بلغته بالتعلم من كتب الصوفية، بل من خدمتي للناس كافة... لقد سلكوا بالمريدين من طرق مختلفة، وسلكوا بنا طريق الخدمة. لهذا السبب؛ الخدمة بالنسبة لي منهج رضيت به واخترته وأحببته، وإني لأوصي بالخدمة كل من أراه مستعدًا مقتدرًا».

يقول الشيخ عبد الله دهلوي:

«كان السلف يكلِّفون طلَبَتهم بالخدمة، فهي وسيلة للترقي في العالم المعنوي والثواب في الآخرة».

يقول مولانا جلال الدين الرومي:

«إن الألوان المتنوعة أمام عينَيك ستغدو ألوانًا أخرى أمام عينَي فؤادك وأنت تؤدي عباداتك، وتحسن إلى الناس وتكرمهم وتخدمهم.

وتتحول الأحجار التي لا قيمة لها أمام ناظرَيك إلى لآلئ ومجوهرات. وتغدو أنت كالبحر في عمقه، وكالشمس الساطعة في كبد السماء».

الخدمة الحقيقية الخالصة تحفة فنية رائعة صنعتها القلوب الناضجة، ومثل تيك القلوب هي محلٌّ لنظر الله سبحانه وتعالى.





ترتبط نتيجة النشاطات والخدمات بحالة قلب
صاحبها ومستوى نضجه، لهذا السبب يجب
على صاحب الخدمة أن يكون في غاية الدقة
لدى اختياره الغذاء المعنوي الذي يشبع قلبه.



يقول الشيخ موسى أفندي رحمة الله عليه:

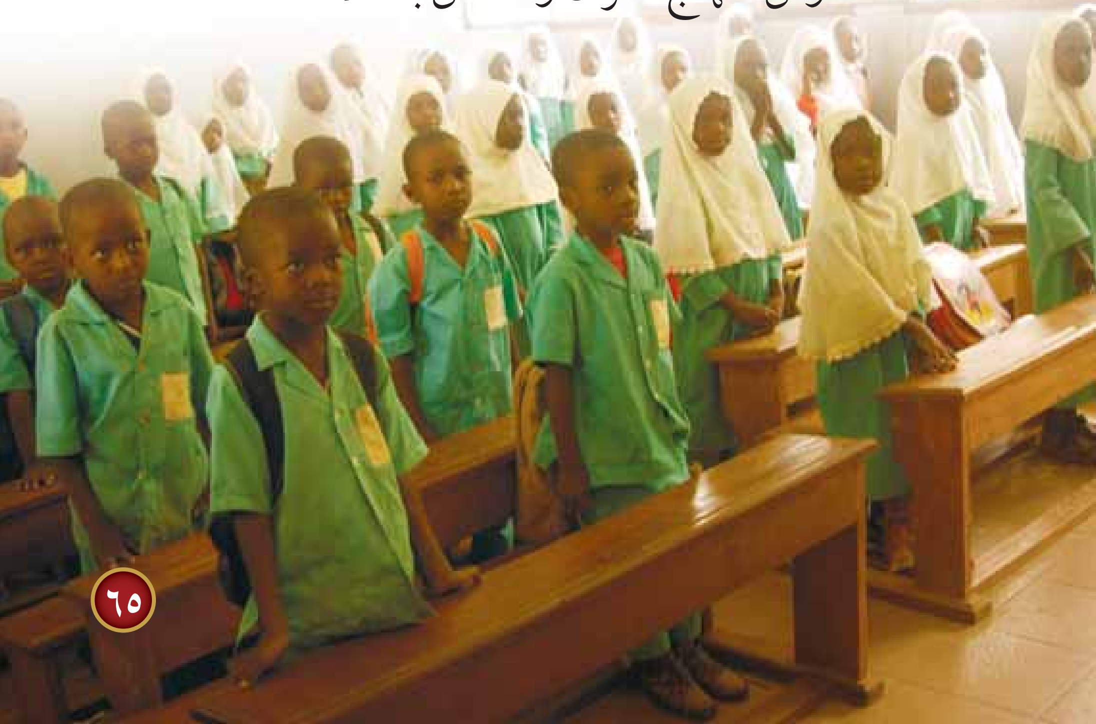
«يجب على العبد أن يرتقي في أخلاقه ومعاملاته طالما أنه يقدِّم خدمات للآخرين. وعليه أن يسعى لتوجيه قلبه نحو ربه جل جلاله توجيهًا يليق بكماله، ويكون عبدًا للحق تعالى مثلما يجب، عبوديةً قائمة على الإخلاص والأدب والتواضع. وإن لم يكن الحال كذلك، فإن أهل الخدمة ممن لا يلتزمون بالأصول وكمال الأخلاق، ولم يرتقوا إلى الدرجات العليا والمراتب السامية، سيفسدون روحانياتهم بخدماتهم، ويُحرمون من نصرة المولى عز وجل بسبب نواياهم».

الخدمة واجبة
وجوب الذكر
والمراقبة من أجل
الترقي المعنوي،
لكن لا يجوز
البتة إهمال الذكر
والمراقبة في أوقات
السحر -منبع فيوضات
الفؤاد وروحانياته-
بجعل الخدمة ذريعة
لذلك.



ينبغي لأهل الخدمة أن يجعلوا قصص القرآن الكريم، ونصائح الأنبياء، ومواعظ الأولياء، أورادًا لهم يقرؤنها بين حين وآخر، فهي مشاعل تنير دروبهم.

أعظم خدمة يمكن أن تقدَّمه للمرء هي أن تكون عونًا له في فلاحه في الآخرة، والسبيل إلى ذلك توجيهه إلى عبودية قائمة على الاستقامة، عبودية لا تكون إلا بالعيش وفق منهاج القرآن والتخلُّق بأخلاقه.



إذا لم يترقَّ أهل الخدمة روحانيًّا، فستظهر النفسانيات، وتغدو خدماتهم وسيلة للغرور والكِبر، وتكون أكثر نتائجها عكس المراد.





ينبغي أن يكون الإخلاص والاستقامة خلَّتان ملازمتان لأهل الخدمة، عندها لا تضيع الخدمات هباءً، وتبقى خالدة تُذكَر بفضل الله تعالى.

الخدمة التي لا تكون نابعة من الفؤاد كدلو من الماء سُكب في الصحراء، وكالبذرة تُرمى في أرض قفر، فتفنى في معدة فأر. أما بذور الخدمة النابعة من الفؤاد فستغدو أشجارًا عظيمة في المستقبل.



ينبغي لكل من يدخل مضمار الخدمة أن يشعر دائمًا بـ«فنائه» ويطلب العون من ربه جل جلاله متضرعًا مبتهلًا إليه، فهو الذي يقول في كتابه الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾

[البقرة: ١٥٣]

من الأمور بالغة الأهمية التي ينبغي لأهل الخدمة أن يعلموها هي أن نجاحهم وتوفيقهم من عند الله تعالى لا من عند أنفسهم، فـ«الأنا» سرطان في طريق الخدمة يستعصي علاجه.



يقول الشيخ موسى أفندي رحمة الله عليه:

«لا بد لأهل الخدمة أن يتحلوا بالإيثار ما داموا يسيرون على هذا الدرب. وأما من كانت غايته تقديم الخدمات كلها وحده، فسرعان ما يصيبه التعب والنَصَب والضنك، وتتبدل آراؤه وأفكاره، فيشرع باستحقار هذا وذاك، وتسوء أحواله على هذه الصورة، والعياذ بالله، ثم يمسي في نهاية المطاف أسيرًا لحب الرئاسة».

٧٢

يقول الشيخ موسى أفندي رحمة الله عليه:

«نسعى للخدمة، ولكن جنودًا لا قادة! »



يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«سيد القوم خادمهم».

[الديلمي، مسند، جـ٢، ٣٢٤]

أي لا بد لمن يترأس الخدمة أن يكون ذا قلب حريص على تقديم الخدمات لا على تلقِّيها.



ينبغي لمن يترأس الخدمة أن يلتزم بها بنشاط
وسعي أكثر من المأمورين كي يكون قدوة لهم.



يجب على أهل الخدمة أن يقدموا العون بأنفسهم ويرونه مسؤوليتهم، بدلًا عن جعل الآخرين يؤدون الأعمال.
فأؤلئك الذين لم يكونوا طرفًا في العمل، بل اكتفوا بإلقاء الأوامر دون أن يحركوا ساكنًا ظانِّين أنهم يقدمون الخدمة، ما أدركوا ولا استوعبوا جوهر الأمر ولبَّه.



لا يمكن أداء الخدمة بالتحكم عن بعد،
فالمسؤول عن العمل يجب أن يكون مضحيًّا
وفي المقدمة.



يجب أن تترك «الأنا» مكانها عند أهل الخدمة
ليحلَّ العشق والمحبة والسعي.

إن الذي يقدم الخدمة بحق يتجرد عن وجوده الفاني ونفسانيَّاته، ويقبَل طوعًا أن يكون الراكب الأخير في قافلة الخدمة لا على رأسها.



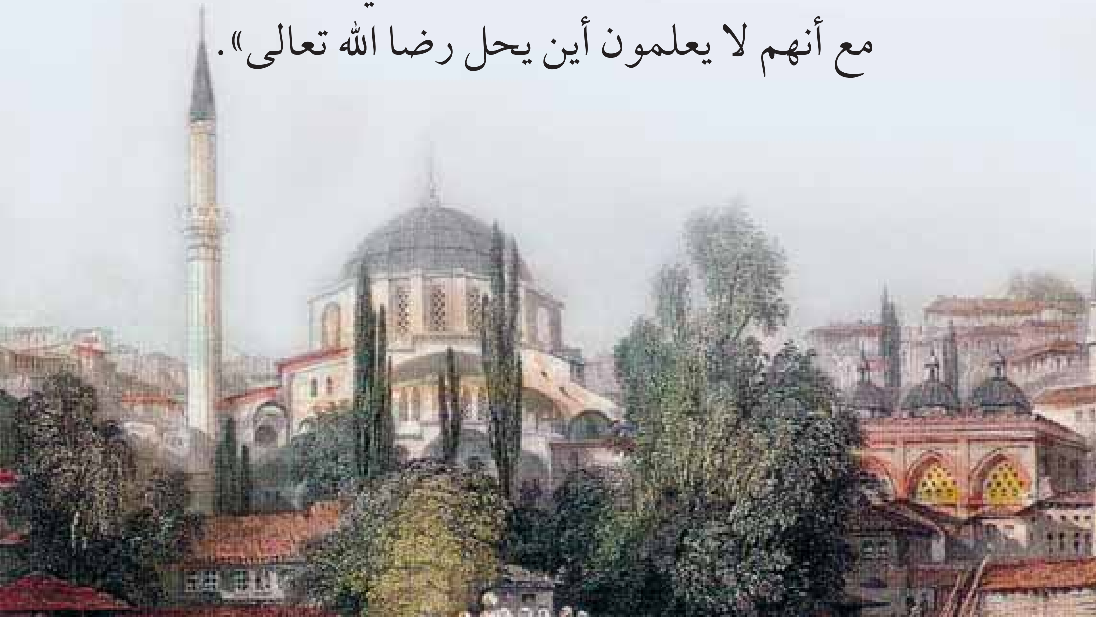
يقول سيدنا علي رضي الله عنه:
«لا يحملنَّك عِظم موقع الرجل على أن ترى خدمته الصغيرة كبيرة، ولا وضاعة موقعه على أن ترى خدمته الكبيرة صغيرة».



٨٠

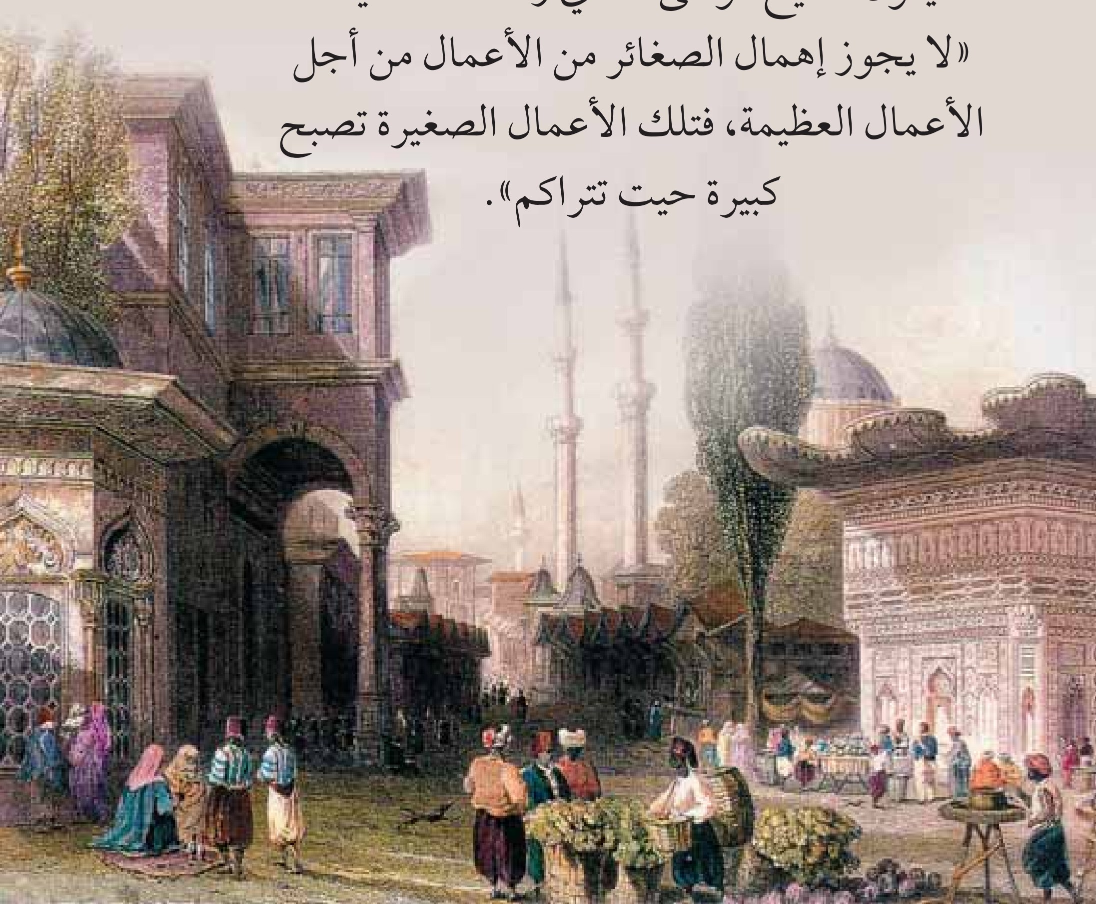
يقول الشيخ موسى أفندي رحمة الله عليه:

«لا ينظر المؤمن إلى حجم العبادة وعمل الخير، بل يسعى دائمًا لأدائها كلها بإخلاص إن استطاع إلى ذلك سبيلًا. فقد يهمل أولئك الذين يقدمون الخدمات العظيمة بعض الخدمات التي تبدو صغيرة، مع أنهم لا يعلمون أين يحل رضا الله تعالى».



يقول الشيخ موسى أفندي رحمة الله عليه:

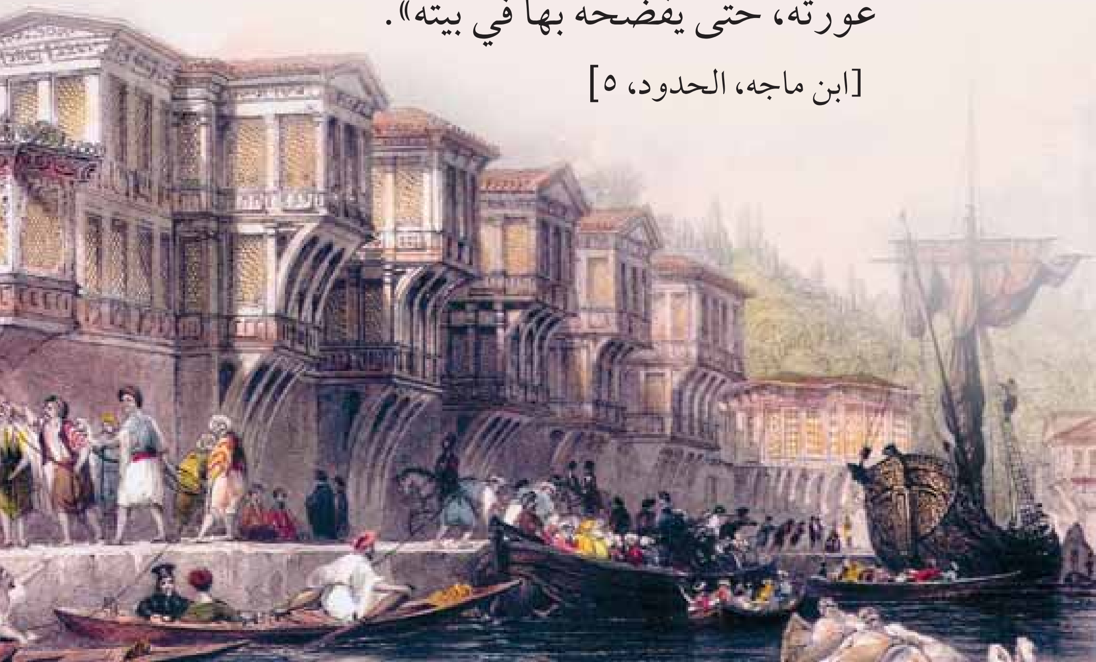
«لا يجوز إهمال الصغائر من الأعمال من أجل الأعمال العظيمة، فتلك الأعمال الصغيرة تصبح كبيرة حيت تتراكم».



ينبغي أن يسعى أهل الخدمة لحل المشكلات لا تعقيدها، وعليهم أن لا يكتفوا بالكلام والنقد، ولا يبحثوا عن النقائص البسيطة، بل يتعاملوا مع الحوادث تعاملًا إيجابيًّا بنَّاءً.

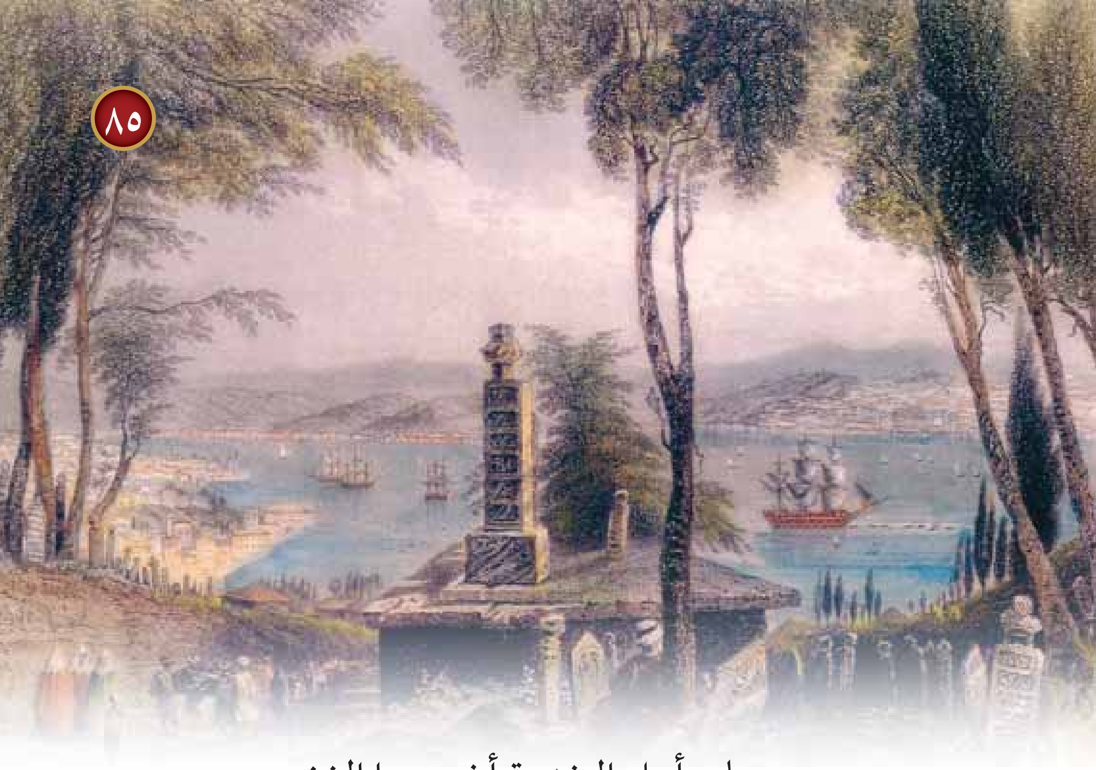
أهل الخدمة لا يبحثون عن عيوب الناس بل يسترونها. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ستر عورة أخيه المسلم، ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم، كشف الله عورته، حتى يفضحه بها في بيته».

[ابن ماجه، الحدود، ٥]

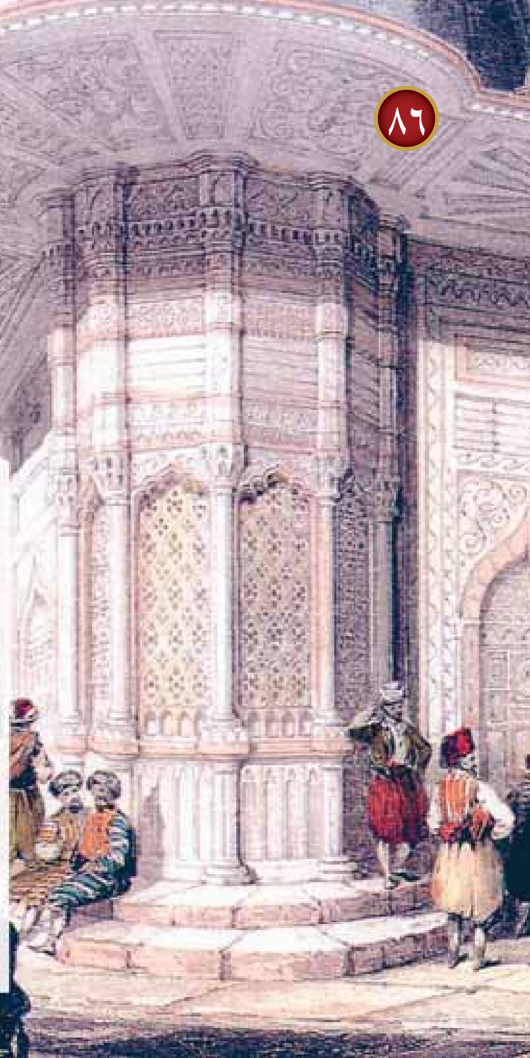




صاحب الخدمة لا يتهم الآخرين إن كان ثمة
عيب في الخدمة، بل يبحث عن العيب في
نفسه أولًا، فيؤاخذها، ويعفو عن غيره.



يجب على أهل الخدمة أن ينسوا الغضب، فالغضب بصورة عامة هو العجز وعدم الكفاءة، وميلٌ لاستحقار الضعيف وقهره.



يجب على المرء من أهل الخدمة أن يكون متَّزنًا، فلا يفرط في محبته وبغضه، وثنائه ونقده، ومدحه وذمِّه. وينبغي أن يكون ذا تواضع دون أن يقع في مستنقع المذلَّة، وقورًا يتحلَّى بالإخلاص، لا وقحًا عاتيًا متكبِّرًا.

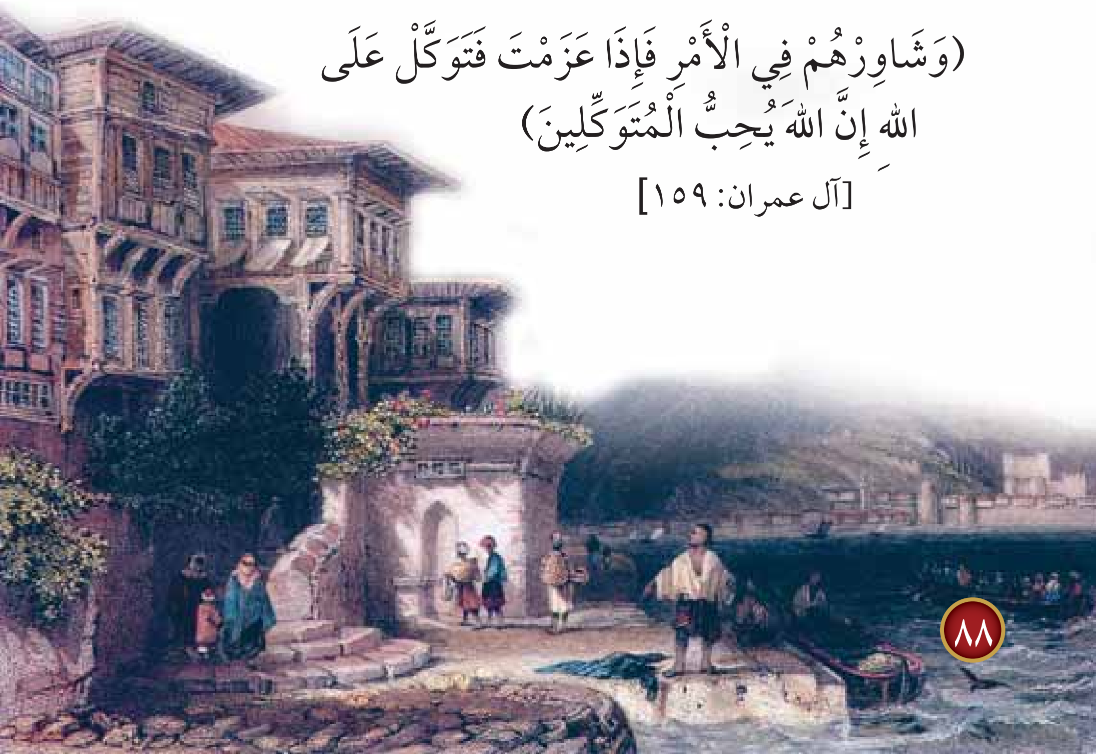


يجب على أهل الخدمة أن يتطهَّروا من الصفات السيئة والأوضار الخلقية التي تُذهِب فيوضات الخدمة وروحانياتها مثل الحقد، والحسد، والنفور؛ ويأخذوا نصيبًا من إكسير المحبة التي تجعل الصدور منشرحة والأفئدة ناضجة.

الشورى في الخدمة أمر إلهي وسنة عظيمة، وقد بيَّن ربنا عز وجل للمؤمنين كافة أهمية الشورى عندما خاطب نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم فقال:

(وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)

[آل عمران: ١٥٩]



ينبغي للمرء من أهل الخدمة أن يستعمل الأمانات التي تقع على عاتقه استعمالًا لائقًا في مقامها الصحيح. وكما أنه يحرص على عدم الإسراف في ماله وملكه، فكذلك يجب عليه أن يحذر من الإسراف في الأمانات العامة التي بين يديه من مالٍ وملكٍ وتعليم وخدمات.

لا بد للمرء من أهل الخدمة قبل أي
شيء أن يتحلى بشخصية سالمة موثوقة
أمام الناس، فهُم يُعجَبون أشد العجب
بالشخصية المثالية التي تتحلى بالوقار،
فيتَّبعونها طوعًا لا قسرًا.

ينبغي لأهل الخدمة أن يكونوا على قدر كاف من العلم في مجال خدماتهم وأصحاب خبرة ومهارة فيها، وإلا يكونوا كذلك، فلن تغدو الخدمة صحيحة، لا بل قد ينتج عنها الضرر، يقول ربنا عز وجل:

(إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا)

[الكهف: ٣٠]

إن لم يكن رجل الخدمة ذا تجربة ودراية كافية، ولم يكترث بتحسين أخلاقه، وما كان أهلًا لعمله، فلن تكون الخدمة خدمةً حقيقية كما يليق بها. يقول الشيخ موسى أفندي رحمة الله عليه في هذا الأمر:

«إن جمعت مئة من أنصاف الرجال، فلن يكون عندك رجل واحد مثلما تعنيه الكلمة».

تكليف إنسان مؤهَّل بخدمة قد يكون
خيرًا من ألف إنسان، فلا ضير إذًا
في عرض الفُرص أمام ذوي القدرة
والاستعدادات العظيمة.

من أعظم الخدمات هذه الأيام سعينا لإحياء المؤسسات التي تُربِّي الهداة المرشدين، يقول أحد المفكِّرين: «أكبر فرق بين الشعوب الحاكمة والمحكومة حفنة من أناس تلقوا تربية صالحة!»

صاحب الخدمة ذو فراسة
ورأي حكيم، يتألَّق بنور بصيرة
الفؤاد والعقل.

معرفة المُخاطَب في الخدمات أمر مهم أهمية الخدمة ذاتها، فمثلًا تختلف المعاملة وشكل الخدمة بين رجل يستحيي أن يعرض حاله بعد أن وقع في الحاجة وقد كان ميسورًا من قبل، ورجل اعتاد بث شكواه وعرض حاجته أمام الآخرين براحة. يقول المولى جل جلاله في الآية الكريمة:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]

يقول الشيخ سيد أمير كُلال:

« اسعَ لإدخال السرور في قلوب الآخرين، واخدُم العاجزين، واحمِ الضعفاء ومكسوري القلوب، إذ لا كَسب لهم من الناس، وأكثرهم يحيون بطمأنينة قلبية وتواضع وانكسار، فابحث عنهم، وجِدهم، واخدمهم!»

يقول الشيخ سعدي رحمة الله عليه:
«إذا كنت شخصًا فظًّا غليظ القلب،
فإن اسمك سيموت مع موت بدنك.
أما إذا كنت صاحب كرم ومن أهل
الخدمة والخير، فإن ذكرك سيدوم بعد
موت بدنك بمقدار تضحيتك ودخولك
قلوب الناس».

يجب أن نتذكر دائمًا أن
الخاتمة الحسنة إنما هي جزاء
حياة مليئة بالخدمات والعيش
في ظلال القرآن والسنة
وفيوضات الفؤاد.

من الحقائق العظمى قول الشيخ أحمد الكاساني رحمة الله عليه:

«الدنيا مكان للخدمة، والآخرة للقربة، أي الاقتراب من الله تعالى. واقتراب المرء من الله منوط بخدمته في الدنيا».

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾

[التوبة: ١١١]

اللهم أكرمنا بحياة قائمة على الخدمة،
مليئة بالإخلاص والفراسة والعزيمة،
واجعلنا ممن تحبُّهم، ووفِّقنا في أعمال
صالحة ترضى عنها، واجعل يا رب خدماتنا
صدقاتٍ جارية حتى تقوم الساعة.

آمين!..